الفلسفة الوجودية

ظهرت قديمًا العديد من المدارس الفلسفية التي كان لها أثرٌ كبيرٌ على حياتنا، ومن أهم وأشهر تلك المدارس هي الفلسفة الوجودية والتي ازدهرت في أوروبا في القرن العشرين . وتعد حركةٌ فلسفيةٌ اتخذت من الإنسان موضوعًا لها، تؤكّد على حرية الفرد وقدرته على اتخاذ خياراتٍ موثوقةٍ وذات معنى بنفسه، من أهم روّادها سورين كيركيجارد (Søren Kierkegaard) ومارتن هيدغر(Martin Heidegger) وجبريل مارسيل (Gabriel Marcel) وجان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) والبيركاموا (Albert Camus).

ركزت الوجودية على مسألة الوجود الإنساني وفهم جوهرها، وأنّ للإنسان كامل الإرادة في اتخاذ قراراته العقلانية في عالم غير عقلانيّ، جعلت تلك الفكرة الإنسان يلجأ إلى استكشاف قيمٍ ومعانٍ جديدة في الحياة، وبما أنّ اعتقاده أن لا وجود للإله، فالطريقة الوحيدة لمجابهة الحياة هي محاولة فهم الوجود الإنساني

قد ساهم العديد من الكتّاب في تطور وازدهار الفلسفة الوجودية وكان ذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كالكاتب الروسي الشهير فيودور دوستويفسكي والذي يُعتبر من أبرز رواد الفلسفة الوجودية، وقد عبّرت روايته مذكرات من العالم السفلي (Notes from Underground)عن الفكر الوجودي

الحرية في الفلسفة الوجودية

لقد حظيت مشكلة الحرية باهتمام كل مفكري الوجودية. والحرية في رأيهم، ليسا ماهية ملازمة للإنسان، فحسب، بل هي جوهر وجوده أيضاً. الإنسان هو حريته. ومن هنا ينطلق كثير من الفلاسفة الوجوديين ليعلنوا ان آراءهم هذه عن الحركة تشكل دليلاً عل الطابع الإنساني لفلسفتهم، الت ي هي ارتقاء بالإنسان إلى اعلى. وكانت أفكار الحرية والاختيار الحر والمسؤولية قد لاقت صدى واسعاً في فرنسا، ولا سيما إزاء الاحتلال النازي وبعدهُ . ولكن الوجودية ، في طرحها لهذه المشكلات، لم تساعد الإنسان على ايجاد حل صحيح لها، بقدر ما زادته ارتباكاً وتخبطاً.

الحرية عند الوجوديين لا يعبر عن بالمفاهيم، ولا يحيط بالعقل. والوجوديين يعارضون الضرورة بالحرية، وينفون مشروطي الاختيار. ان الحرية عندهم حرية خارج المجتمع، حرية الفرد المنطوي على ذاته، المنعزل على الآخرين. إنها حالة باطنية، ومزاج نفسي، ومعاناة ذاتية. ولكن الحرية، تعارض الضرورة، حرية معزولة عن المجتمع، وهي حرية بلا معنى،

ومبدأ شكلي فارغ، ونداء عقيم، لا جدوى منه، ان الوجوديون لا يستطيعون، حتى ولا يحاولون الكشف عن المضمون الحقيقي للحرية. إنهم يؤكدون على أن الإنسان يجب أن يختار مستقبله بحرية، لكنهم لا يشيرون إلى أية ركيزة، يعتمد عليها في هذا الاختيار. فالإنسان حر في نظر الوجودية، هو ذلك الفرد الذي ينصب ذاته في مواجهة المجتمع. إن الوجودية تطرح جانباً المضمون الحقيقي التاريخي للحرية. ذلك أن مسألة الحرية، عندها ليست مسألة تحرير البشر من قسوة الطبيعة، وظلم الطبقات الحاكمة، بل هي نصائح وارشادات، تهيب بالفرد أن يبحث عن حريته في اعماق "وجوده" الذاتي فقط .

الإنسان في الفلسفة الوجودية

ومن الموضوعات المهمة التي ركزت عليها الوجودية هي معاناة الواقع التي يعيشها الإنسان من الضيق والقلق والحيرة ، لأن الإنسان متى تبين موقفه من العالم وعرف أن وجوده منته ال محالة إلى الموت ، أدركه القلق وتواله اليأس ، ومن هنا انصرفت تأملات الوجوديين عامة إلى البحث في الضيق و اليأس والاخفاق العدم .. والموت ، والموت هو الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يكون على يقين من أنه ختام كل حياة ، وهو التعبير عن النقص الطبيعي الذي يعوقه عن تحقيق إمكانياته ، ومن هنا كان تفكيره المتواصل فيه ، ومنه انتهى الى ان حياته فراغ وعدم.

وأهم منطلقات الوجودية هي الإيمان بالوجود الإنساني و يتخذون منه منطلقًا لكل فكرة، فالإنسان هو أقدم شيء في الوجود ووجوده سابق علي كل شيء فالإنسان يوجد أولا ثم تتحدد ماهيته. و هذا الإيمان بوجود الإنسان و الإعلاء من شأنه جاء كرد فعل علي تسلط الكنيسة و تحكمها في الإنسان بشكل متعسف. لذا يجعل الوجوديون من الإنسان نقطة انطلاقة في كل أفكارهم، فالإنسان هو محور الكون به تبدأ كل فكرة و تنتهي عنده. و الإنسان يشكل ماهيته عن طريق الاختيار بين عدد من البدائل و الاختيار من المقولات الهامة في الوجودية، و يرتبط بالاختيار الحرية فالحرية مبدأ أساسي أيضا في الوجودية ، لكن الحرية عندهم حرية مطلقة ليس عليها قيود أو ضوابط لذلك أدت إلي فوضي أخلاقية، و السقوط في مستنقع الرذيلة و الانحلال. بل أصبحت تدل علي كل وجودي يتمسك بهذه الأشياء. فوجود الإنسان مقدم علي الماهية، و يشكل الإنسان ماهيته من خلال الاختيار و الحرية، و عوامل القلق و الحصر النفسي و التوتر من المقولات الهامة في الفلسفة الوجودية. يشعر الوجودي بالقلق و الاضطراب النفسي و التوتر من خلال المواقف التي يكون فيها في موضع اختيار بين الأشياء.

و لقد أنكرت الوجودية القيم الدينية فهي لا تعترف بها بل الإنسان عندهم حر في اعتناق ما يراه من أفكار. و لقد تعرضت الوجودية إلي انتقادات كثيرة منها أنها أعلت من شأن الإنسان إلي الدرجة التي لا تري معه أي شيء آخر في الكون و هذا خطا فادح لان الإنسان ليس وحده في هذا الكون بل معه أشياء أو كائنات آخري يتعامل معها و يدخل معها في علاقات متبادلة. كما أنها أهملت القيم و الأخلاق و أدت إلي عبثية مفرطة و تجاهل لكل ما هو أخلاقي مما أدي إلي الانحلال و الفوضى الأخلاقية. كما أنها لم تعترف بالدين و لذلك تأثرت بالعلمانية و غيرها من الحركات التي صاحبت النهضة الأوروبية و رفضت الدين و الكنيسة.

المصادر :

- توفيق سلوم :موجز تاريخ الفلسفة
- عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق: الإنسان في الفلسفة الوجودية.